# النزعات الأدبية

## العامة قبل دستور ١٩٠٨

للدكتور أنيس المقدسي
أستاذ الأدب العربي بجامعة بيروت الأميركية

— ١ —

﴿ الرابطة العثمانية ﴾ ظلت تركيا الى عهد قريب سيدة الأمم العربية من الناحية السياسية، وظلت عاصمتها الاستانة مقرّ سلطة متراخية الأطراف، وخلافة دينية واسعة النفوذ.

وبرغم ما بلغته في أواخر عهدها من فساد إداري واختلال اقتصادي، وبرغم الدعايات[1] الواسعة التي كانت تقوم بها الدول الأوربية، وأخصّها روسيا القيصرية وبريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا، لا نرى في الشرق العربي منذ أيام إبراهيم باشا المصري حتى أواخر القرن التاسع عشر حركة جدية للانفصال عن السلطنة العثمانية والاستقلال بكيان سياسيّ منظّم. ولم يكن لقطر عربي من الأسباب المهيّئة لظهور أدب قوميّ عربيّ النزعة ما كان لمصر في القرن التاسع عشر فهي أسبق البلدان العربية الى انشاء وحدة ادارية ذاتية، بل هي اول مكان بعثت فيه الروح العربية بالاستقلالية، كما يستدل من سياسة ابرهيم باشا التي كانت ترمي الى فصل بعض الأقطار العربية عن جسم السلطنة وتأسيس مملكة عربية كبيرة[2]. كان ابرهيم باشا يحلم بالاستقلال حينما صرّح للبارون بوالكونت بقوله[3] « ما أنا بتركي بل أنا ابن مصر ان شمسها قد غيّرت دمي فجعلتني عربيًّا صحيحًا » وقد سارت مصر بعده بخطى ثابتة في ذلك السبيل ومع كل ذلك ظلّ الأدب العربي فيها عثمانيّ الروح. والذي يراجع نتاج الأدباء المصريين في القرن الاخير كالبارودي، والنصر لي، والشيخ علي الليثي، وسامي باشا البارودي، وعبد الله نديم وسواهم يتجلّى له ما نقصد اليه

---

(١) الدعايات لفظة غير فرنسية. ولكننا آثرنا استعمالها شيوعها بين الكتاب السياسيين ولانطباقها على قاعدة ذكرها ابن جني في الخصائص تحت باب التسريح

(٢) Rustom, The Royal Archives p. 93-96

(٣) Donin, Mission du Baron Boisle Comte p. 249

وسبب ذلك ، على ما يظهر ، ما كان للخلافة ودعاتها من تأثير في نفوس المسلمين . فكان سلطان تركيا المثل الاكبر لعظمة الشرق والاسلام . وإذا سمعنا الشيخ الليثي شاعر الخديو اسماعيل يقول في السلطان عبد العزيز ( على الطريقة الشعرية في ذلك العهد )

دعْ ذكرَ كسرى وقيصرَ إن اردت تنا عن قيصر الروم حيث النفع مفقودُ
واشرح مآثر من سارت بسيرته وكاتب الجود تحدوها الصناديدُ
مَلْكٌ الملوك الذي من بعض دولته ظلّ العدالة في الآفاق ممدودُ

فانما قوله انموذج لما كان يقال في العرش العثماني وخلافة الاسلام . وقد ظلت الروح العثمانية شديدة البروز في مصر حتى حدث ما حدث بعد الحرب الكبرى من سقوط الخلافة وانقلاب السلطنة العثمانية الى دولة تركية صرفة . وكان قادة الحركة الادبية على اتصال بعقر الخلافة . فزعم الذمم السلطانية كعلي ابي النصر المتوفي سنة ١٨٨٠ وعبد الله فكري ١٨٨٩ وعبد الله نديم ١٨٩٦ وابراهيم المويلحي ١٩٠٦ ومصطفى كامل ١٩٠٨ ثم المتأخرون عن هؤلاء بالوفاة كاحمد شوقي وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري وسواهم

وشوقي على ما يظهر هو اعظم من تغنى شعريًا بمحامد الخلافة وتعظيم رجالها . فان له في ذلك قصائد سائرة . ومن اشهرها ما نظمهُ في وقائع الحرب العثمانية اليونانية سنة ١٨٩٧ وكان في ابّان شبابه كقوله في باكورة انتاجه (صدى الحرب) يخاطب السلطان : —

بسيفك يعلو الحقُّ والحقُّ اغلبُ ويُنصر دين الله ايّان تضربُ
وما السيف الاّ آية الملك في الورى ولا الامر إلاّ للذي يتغلّبُ

ومنها في وصف معركة ملونا وبأس الاتراك الظافرين : —

فهل من «ملونا» موقفٌ ومسامعٌ ومن جَبَلَيها منبرٌ لي فاخطبُ
فاسأل حصنيها المجيبين في الورى ومدخلها الاعصى التي هو أعجبُ
وأستشهدُ الاطوادَ شمَّاء والذُّرى بواذخ تلوي بالنجوم وتجذبُ
هل البأسُ الاّ بأسهم وثباتُهم ام العزمُ الاّ عزمهم والتلبّبُ
أم الدين الاّ ما رأت من جهادهم أم الملك الاّ ما اعزّوا وهيّبوا

والحق يقال ان هذه القصيدة ملحمة حربية . بل هي فيض من العواطف العثمانية . وكذلك كان كثير من شعر شوقي في كل ادوار حياته . فقد نشأ على حب العثمانيين وظلّ من اكبر الدعاة لهم . ومن أراد ان يتحقق عثمانية هذا الشاعر الكبير فليراجع من قصائده ما يلي :— تحية الترك ومطلعها :

بحمد الله ربّ العالمينا وحمدك يا امير المؤمنينا

سيف امير المؤمنين ومطلعها :

رضي المسلمون والاسلام فرع عثمان دمٌ فداك الدوام

نجاة امير المؤمنين ومطلعها :

هنيئاً امير المؤمنين فانما نجاتك للدين الحنيف نجاة

الاسطول العثماني ومطلعها :

عزّ اللواء بعزّك الاسلام وعنت لقائم سيفك الايام

في سبيل الهلال الاحمر ومطلعها :

يا قوم عثمان والدنيا مداولة تعاونوا بينكم يا قوم عثمانا

في سبيل الهلال الاحمر ومطلعها :

جبريل هلّل في السماء وكبّر واكتب ثواب المحسنين وسطّر

الاندلس الجديدة ومطلعها :

يا اخت اندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام

تحية للترك ومطلعها :

الدهر يقظان والايام لم تنم فما رقادكمُ يا اشرف الامم

رثاء الخلافة ومطلعها :

عادت اغاني العرس رجع نواح وانبت بين معالم الافراح

فمن قراءة هذه القصائد وسواها يتبين لك ما كان للخلافة العثمانية من مقام في نفوس المصريين اما في الادب المنثور فاكثر ما ترى ذلك في خطب السيد عبد الله نديم ومقالاته . ثم في الحركة الوطنية التي قام بها مصطفى كامل وفي كتابات السيد توفيق البكري . ومن امثلته قول الاول في خطاب [1]

« هذي يدي في يد من اضمها ؟ ضمها في يد وطنك واعقد خنصرك على محبة امير المؤمنين الخليفة الاعظم والاّ فقطعها خير من وضعها في يد اجنبي يسعيك اليه بوعود كاذبة وحيل واهية لتكون عونه الاكبر على ضياع حقوقك واذلال اخوانك ونزع سلطة اميرك وسلطانك » وهذه الروح بارزة في كثير من اقوال هذا الخطيب

وكان مصطفى كامل ( وهو زعيم الحركة الوطنية قبل الحرب الكبرى ) يرى ان مصلحة مصر مرتبطة بمصلحة الاسلام على العموم . فكان كما قال زيدان « شديد المدافعة عنهُ كثير السعي في نصرته . وقد كان يخدم مصلحة الدولة العثمانية من طرق كثيرة فالعم عليه السلطان بالرتب

(١) راجع مقالاته المنشورة على صفحة المظلة الجديدة ( مصر ) ولا سيما الثالثة والتاسعة

ومثل الفئة الثانية المناوئة للسياسة العثمانية سليم سركيس صاحب جريدة المشير فهو شديد الهجوم على هذه السياسة وعلى دعاتها . ومما يبيّن لك ذلك مقالة له موضوعها «هل مصر عثمانية» قال فيها[1]

«لم أجد في حياتي ولا قرأت في مطالعاتي عن أمة تريد الانتقال من نور الاستقلال الى ظلمات العبودية الاّ هذا القسم من الامة المصرية الذين يريدون التمسك بأذيال الرمق العثماني» ومن شعره قوله[2] —

نرجو صلاح الترك قد خابت امانينا الكواذبْ
هي دولة ظلمتْ وليس العدلُ عن ظلم يذاهبْ
فالشدّ مني قولاً تردّ ده المشارق والمغاربْ
ليس العجيبة فقدها بل عيشها احدى العجائبْ

ومثل سركيس كثيرون ممن بلغ بهم اليأس هذا الحدّ من كره الادارة التركية على أن بين هاتين الفئتين فئة ثالثة تتوسطهما وتتصل بكليهما . وهي فئة المتدينين الذين لم يسهم التعرّض عن سيئات تركيا — ومنهم من حجرها طلباً لحرية الفكر — وكان مع ذلك كله يحرص على بقاء الجامعة العثمانية . نذكر منهم فرح انطون فقد أصدر في الاسكندرية سنة ١٨٩٧ مجلةً (الجامعة العثمانية) ومن اسمها يتضح مذهبه السياسي وخلاصته[3] ان الامم الشرقية يجب ان تتحالف تحالفاً متيناً جداً حتى تستطيع ان تسير مع التيار الغربي فلا يدوسها ولا يستطيع ان يهضمها فهو منذ بدء حياته الفكرية يدعو الى جامعة شرقية واسعة . ومن اقواله في العدد الاول من مجلته مشيراً الى المدارس الاجنبية — «فلنشأنّ لها العثمانيون بازاء تلك المدارس مدارس جديدة يكون اساس تعليمها حب الوطن والامة وتعليم ما هو الوطن وما هي الامة . لتؤسس مدارس جديدة تدخل اليها طرق التعليم الحديثة ووسائل التربية الحديثة . وتدخل اليها قبل ذلك عناصر الامة كلها فنربيها فيها على مقاعد واحدة ونلقنها دروساً واحدة ومبادىء واحدة حتى تكون بعد خروجها من حياة المدرسة الى حياة الرجولية بقلوب واحدة وأفكار واحدة فان هذا هو السبيل الى تقوية جدار الوطنية العثمانية ووقايته من الثلم والهدم»

وقد علق على ذلك الشيخ رشيد رضا صاحب المنار الاسلامي بقوله[4] «فشكراً لك ايها الكاتب الفاضل ، ونجح الله تعالى الجامعة العثمانية بمبادئك الصحيحة» ومما لا ريب فيه ان الشيخ المذكور كان من دعاة العثمانية وكذلك الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد وغيرهما من رجال العلم والدين

---

(١) راجعها في المشير عدد ٤٠٣ (٢) المشير ٢١ ابريل ١٨٩٩ (٣) «فرح انطون» ملحق بمجلة السيدات والرجال ١٩٢٣ ص ١٤ (٤) المنار مج ٢ — ٤٧

ومن المعتدلين الناظرين الى الامور بعين الروية جرجي زيدان منشىء الهلال فهو من طلاب الاصلاح السياسي ولكنهُ لم يكن متاوفاً للعثمانية . والذي يطالع اعداد مجلته ولا سيما في السنين الاولى يراه عطوفاً على الدولة ولعله كان يرى كما كان يرى اديب اسحق واصحاب المقطم واشباههم ان الرابطة العثمانية لازمة للشرقيين وان طلب الاصلاح لا يعني القضاء عليها او استبدال رابطة اخرى بها

واذا صح ان محمد ولي الدين يكن نزيلاً في مصر لنشأته في الاستانة واعتباره اياها وطنه الاصلي فهو من ابرز المنتمين الى هذه الفئة الوسطى . بل هو يجمع في نفسه اطراف الفئتين الاوليين — شدة التقمة على سلطان تركيا ، وشدة العصبية للوطن التركي . فلما كان في مصر ورأى بعض الجرائد الانكليزية والعربية تتحامل على الجنس التركي تنبي تقمته على عبد الحميد وحكومته وقام يدافع عن الاتراك غير مبال بمعاداة كثير من خلانه الاحرار[1] . وهو القائل « لوطني مني حياتي وكل ما كان دونها على ان اعيش عثمانيًّا واموت عثمانيًّا »[2] ومن اقواله في وطنه العثماني

ويخلد للّيالي فيك حبي واخلاصي الذي في الناس شاعا

وفي مرثاته لادهم باشا بطل الحرب اليونانية يقول

وبلاد الفتى تعزّ عليه وعظام الآباء فيها عظام
وعهود الصبا عهودٌ غوالٍ وغرام الوفيّ ذاك الغرام

وكيف التفتّ الى ولي الدين تجده في ادبه ذلك العثماني المخلص الذي يكره الاستبداد ولكنهُ يحبّ الوطن ، يمدح الغورد كرومر لحمايته الاحرار في مصر[3] ولكنهُ ينقضّ على مشايعي غلادستون المتحاملين على تركيا والاتراك[4] وحتى في ايام محنته وقيه الى سيواس لا يذكر بلاده الاّ بالخير فيقول[5]

ايها الركبُ سرْ فدتْ اماي لبغداداً سرًّا وعيشاً امرّا
غربةٌ هذه وقد كنت ادري أن سأرمى بها لدنْ كنت حرّا
فالفحي يا رواسيَ الارض ناراً وأفيضي فداقد الارض بحرا
وانفحي يا ريح الشمال سموماً واقذفي يا سواتر الافق صخرا
انا ارضى بذا لحبّ بلادي وارى في سبيلها الموتَ فخرا

(١) العلوم والجهول (١٩٠٩) ١ — ١٠٧ (٢) العلوم والجهول (١٩٠٩) ١ — ١٣٩
(٣) العلوم والجهول ١ — ١١٠ (٤) العلوم والجهول ١ — ١٠٧ (٥) العلوم والجهول

والالقاب [1]» ومن قرأ خطبه تحقق صدق عنايته . ومن امثلة ذلك قوله من خطاب القاه على المصريين في باريس سنة ١٨٩٥ [2]

« حقًّا ان سياسة التقرب من الدولة العلية لاحكم السياسات وأرشدها . فضلاً عن الاسباب العظيمة الداعية لهذا التقرب فان العدوّ واحد . ولا يليق بنا ان نكون في فشل وشقاق في وقت يعمل فيه اعداؤنا على تجزئة دولتنا . ولا غرو ان كنا نتألم لآلام الدولة العلية فما نحن الاّ ابناؤها المستظلون بظلها الوريف المجتمعون حول رايتها » ... الى ان يقول « وقصارى القول ان الراية العثمانية هي الراية الوحيدة التي يجب أن نجتمع حولها . ولا تتحقق وحدتنا بغير الاتحاد والائتلاف فلنتحد قلباً ولساناً ولنكن يداً واحدة في خدمة الاوطان واسعادها . ولنقل اليوم جميعاً من صميم أفئدتنا ليحي جلالة السلطان عبد الحميد وليحي العباس ولتحي العثمانية ومصر »

ولا نستطيع الآن البت في هل كان مصطفى كامل يستخدم الدعوة العثمانية متواطأة للاحتلال الانكليزي في مصر او كان يستخدم متواطأة الاحتلال اداة لخدمة الخلافة . على ان الذي لاشبهة فيه ان كلتا العثمانية والمصرية بارزتان في حياته وادبه ، وانه كان من اكبر الدعاة في مصر بل في الشرق لتوطيد دعائم الجامعة العثمانية في ظل الخلافة الاسلامية

وقد نشأ قبله اثنان كان لهما يد طولى في هذه الدعوة واحيائها في الادب العربي . الاول احمد فارس الشدياق ١٨٨٧ وهو لبناني الاصل لكنه أتمّ علومه في مصر وعمل فيها فتولى كتابة الوقائع المصرية . ثم جال في اوروبا وأقام فيها بضع عشرة سنة . وبعد ذلك أمّ تونس حيث اعتنق الاسلام ثم طلب الى الاستانة وهناك انشأ الجوائب وكانت واسعة الانتشار في العالم الاسلامي وفيها يجد الباحث كثيراً من القصائد والمقالات التي تدور على عظمة الدولة ومدح سلاطينها ورجالها . كقوله من قصيدة في عبد العزيز [3]

للـــدولة العليا عُلىً ومآثر يشدو بها يوم الفخار الآثر
ساست ممالك ليس يعلم حدَّها ولثاتها الاّ العليم القادر
سرحيث شئت من البلاد فلا ترى إلاّ النعيم وما اشتهاه الناظرُ

والثاني جمال الدين الافغاني ١٣١٤ هـ ويتصل نسبه بآل البيت . كان زعيماً اسلامياً كبيراً . وقد اضطرته الاحوال السياسية ان يفارق بلاد الافغان ويقصد الاستانة فاستقبل هناك بحفاوة

(١) تراجم مشاهير الشرق ١ — ٢٩٧ و ٢٩٩ ( مصر ١٩٢٢ )
(٢) راجع كتاب مصطفى كامل باشا ( الطبعة الاولى مصر ١٩٠٨ ) ج ٣ — ١٩٢
(٣) منتخبات الجوائب (١٢٩٢) ٣ — ١٥٢

واقام بها مدة . ثم امّ مصر وكان فيها محجّة العلماء والمفكرين، وقبلة الذين خططوا تعاليم سياسيّة ويؤخذ منها «ان الغرض الذي كان يصوّب نحوه اعماله والمحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في حوزة دولة اسلاميّة تحت ظل الخلافة العظمى»[1]

ولا شك ان للافغاني وللشدياق اثراً كبيراً في الادب السياسي بمصر

***

ونحن إذا قلنا ان الادب المصري كان متشبعاً بروح النشيّع للخلافة والجامعة العثمانية فلكي يتناول المصريين الاصليين ولا سيما المسلمين منهم . اما نزلاء مصر من السوريين والعراقيين فكانوا فئتين متطرفتين ، فئة تجاري المصريين في عثمانيتهم وفئة تنكر عليهم هذا الاندفاع نحو تركيا

ومن الفئة الاولى سليم نقلا مؤسس جريدة الاهرام . واليك بعض ما كتبهُ سنة ١٨٩٩ في «الوطنية العثمانية» قال — [2]

«انّ في ممالكها المحروسة عناصر عديدة بين تركية وعربية وارمنية ويونانية وغيرها . وكذلك مذاهب مختلفة . ولكنها تجمعها كلها جامعة واحدة وطنية هي الجامعة العثمانية وهي دون استثناء تخضع لجلالة سلطانها وتصدع بامره وتصاغ لاحكامه . وهذه الجامعة كانت وتكون الحصن الحصين للرعية دون اطماع الدول ، وما وراء إلبث بها الاّ الخسران والضياع . واذا تبيّن هذا ، وهو الحق الصُّراح ، كان ابن مصر وابن الحجاز والعراق والشام اخوة لامّ هي دولتهم ، وأب هو جلالة السلطان»

وتتجلّى هذه النزعة العثمانية في شعر خليل مطران . وفي ادب مطران وسيرته ما يدلّ على مجاراته الوطنيين المصريين في آمالهم ونزعاتهم . فلا نستغرب ان نسمعهُ يقول في قصيدته «فتاة الجيل الاسود» وكان قد نظمها قبيل استقلال ذلك الجيل[3] —

طفقتْ امة الجبل الاسود على حكمِ فاتحها الأبْيَد
ومنها — وما الترك الاّ فحول الحروب رضيعُ لقاحها من الموليد
اذا لفحوها الدماء فلا تاج سوى الفخر والسؤدد
سواء على المجد ايّا تكنْ عواقب مسعاهم تُحمَد

وتظل هذه الحماسة العثمانية فيه الى زمن متأخر كما نرى في القصائد التي يذكر فيها حرب طرابلس الغرب وبنات الهلال الاحمر[4] ففي هذه وما عاثلها يظهر ميله العثماني وتشيعه لوطني مصر

(١) تراجم مشاهير الشرق (زيدان) (مصر ١٩١٢) ج ٢ — ٦١
(٢) مجالي الدرر ٧٣ (٣) ديوانه ص ١٥٤ (٤) راجعها في الشعراء الثلاثة للسندوبي (١٩٢٢) ص ٣١٤ و٣٢٤ والمورد الصافي ٣ — ١٨٣

واذا ذكر الخلافة العثمانية وعجدها الماضي وكيف اصبحت في ايام عبد الحميد قرن ذلك بدموع الاسى على الوطن فقال[1] —

خلافة قد مضى عنها خلائفها من آل عثمان من سادوا ومن شادوا
ابقوا بها المجدَ للاخلاف يدعمُ والمجدُ يبقيه للاخلاف اجمادُ
حتى انتهت لامير في تسلّطه يخشى مظالمه عادٌ وشدّادُ
يا ويلنا انما نبكي لنا وطناً يبكيه في الترب آباء واجدادُ

فولي الدين مهما يكن موقفهُ من الادارة الحميدية عثماني مخلص شديد التعلق بالجامعة العثمانية ولعله يفوق سائر الاصلاحيين في ذلك

وما يصدق على المهاجرين العثمانيين في مصر يصدق عليهم في سائر المهاجر الاّ انهُ لما كان اكثرهم هناك من السوريين واللبنانيين النازحين من بلادهم اما رهبة من الاستبداد واما رغبةً في طلب العلى ، ولما كانوا بعيدين عن تأثير الدعايات العثمانية كما كانت حال اخوانهم في وادي النيل ، فقلما ترى منهم من يعطف على الجامعة العثمانية او يهتم ببقائها . على انك قد تجد منهم من تهزه العصبيّة الشرقية أحياناً فتظهر العثمانية في شعره او نثره ولكن ذلك قليل اذا قيس بسواه

***

واذا خرجنا من مصر الى سائر الاقطار العربية ولا سيما سوريا ولبنان والعراق فمن الطبيعي أن نجد معظم الادب السياسي فيها متلبساً بملابس الجامعة او النزلف الى السلطان ورجال دولته

ولا ينكر ان من الشعراء في هذه الاقطار من كان صادق العقيدة العثمانية إما لتأثيرها الديني في نفسه واما لاسباب اخرى . على ان الرهبة من الاستبداد او الرغبة في جرّ المغانم كانتا قبل العهد الدستوري من اهمّ الدواعي الى شيوع النزعة العثمانية في الادب العربي وليس على طالب الحقيقة الاّ ان يراجع دواوين الشعراء في ذلك العهد كبطرس كرامه ، وعبد الباقي العمري ، وناصيف اليازجي ، وعبد الغفار الاخرس ، وفارس الشدياق ، ويوسف الاسير ، وابراهيم الاحدب . ثم محمد حسن الحموي ، ومحي الدين الخياط ، والباروني ، وعبد الحميد الرافعي ، ومن عاصرهم . فانهُ يجد في جميعها ما يماثل قول اليازجي الكبير في السلطان عبد العزيز : —

(١) ديوانه ٤٣

خليفة الله ظلٌّ في خليفته ظلت به تتّقي الدنيا وتستترُ
لا ترتضي غيره الدنيا لها ملكاً لو كان جبريل يأتيها او الخضر
مقلّد فوق ثواب مضاعفة من خشية الله سيفاً صاغه القدر
إذا طلبنا من الباري لنا وطراً فليس الاّ بقاءُ عندنا وطر

أو قول عبد الحميد الرافعي في ابي الهدى الصيادي شيخ السلطان عبد الحميد

سألوا يا سعدُ أين المبتغى قلتُ حيث الشمسُ في برج الاسدْ
حيث لي من آل طه سادة ملأوا الدنيا بأنوار المددْ
ودنوا من ملجأ الملك لدى مقعد الصدق ومرقى المتعدْ
فرد ذا الدهر حميد الخُلفا دام في حفظ من الفرد الصمدْ

وباب مديح الظهاء في ادب ذلك العهد واسع ، بل هو أوسع الابواب الشعرية . وكثير منهُ شخصي لا علاقة لهُ خاصة بالاحوال السياسية . على ان منهُ ما يتعلق بالسياسة الداخلية او الخارجية . فدراستهُ من هذا القبيل مفيدة للباحث . ومن أمثلة ذلك قصيدة رفعت سنة ١٩٠٢ الى مظفر باشا متصرّف لبنان عند توليه الحكم يحاول فيها الشاعر[1] ان يعبر عن أماني اللبنانيين المهاجرين فيصف حال الجبل في ذلك الحين وأحوال المهاجرين ثم يلتفت الى المتصرف الجديد فيحذّره من تدخل القناصل في ادارته . ويطلب الى نواب الاقضية ( اعضاء مجلس الادارة ) ان ينشطوا الى ما فيه خير البلاد وان يمحوا سيئات الماضي في هذا العهد الجديد . ويخشى راجياً من المتصرف ألاّ تكون وعوده كوعود أسلافه كلاماً في كلام فيقول —

أنظر الجبل الذي شمّت لنا أقوالهُ بمناً بزّ شالهُ
كم حاكمٍ ابدى لاول حكمه وعداً فكان وفاءه اخلالهُ
حاشاك إخلاف الوعود فانت مَن شرف المبادىء والوفاء خِلالهُ
تركوا لنا التاريخ مسوداً فكن ممّن تخلّد بالجميل فعالهُ

ولو رجعنا قليلاً الى الوراء وراجعنا مثلاً مدائح ناصيف اليازجي وخليل الخوري في فؤاد باشا لقرأنا في خلال سطورها كثيراً عن حوادث السنة الستين في سوريا ولبنان ونقف على ذلك كثيراً من شعر المديح المتعلق بحوادث سياسية اثارت خواطر الناس في مختلف الاقطار العربية

« لبحث صلة »

(١) تيسر المطلوب في تذكار المهاجر ( ١٩٠٤ ) ص ١٠١